شرح الفتوى الحموية
الدرس الرابع عشر
لفضيلة الشيخ
عبد الرحمن المحمود
حفظه الله

بداية المحاضرة

الشيخ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على نهجهم ومن اقتدى بهداهم واقتفى أصرهم إلى يوم الدين أما بعد فهذا هو الدرس الرابع عشر والأخير إن شاء الله تعالى من دروس التعليقات على الفتوة الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية، أتفضل يا شيخ.

الطالب: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللسامعين برحمتك يا أرحم الراحمين، قال المؤلف رحمه الله تعالى: قلت وليعلم

الشيخ: القائل هنا هو شيخ الإسلام ابن تيمية وهذا تعليق على ما سبق وآخره ما ذكره أبو المعالي الجويني في الرسالة النظامية التي أنكر فيها التأويل وبيّن أن مذهب السلف هو الإثبات على تعليق ذكرناه في آخر الدرس الماضي، نعم يا شيخ.

الطالب: قلت: وليعلم السائل أن الغرض من هذا الجواب ذكر ألفاظ بعض الأئمة الذين نقلوا مذهب السلف في هذا الباب، وليس كل من ذكرنا شيئًا من قوله من المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما نقوله في هذا وغيره؛ ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به؛ وكان معاذ بن جبل يقول في كلامه المشهور عنه، الذي رواه أبو داود في سننه: «اقبلوا الحق من كل مَنْ جاء به؛ وإن كان كافرًا ـ أو قال فاجرًا ـ واحذروا زيغة الحكيم. قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول الحق؟ قال: إن على الحق نورًا» أو قال كلامًا هذا معناه.

الشيخ: نعم، يعني الشيخ يستدرك يقول من نقلنا عنهم ممن حكا مذهب السلف لا يعني هذا أنه يوافقنا أو نوافقه في كل ما يقول ونقول لأن بعض هؤلاء الذين نقل عنهم شيخ الإسلام منهم من أخطأ في مسائل ولو كان من أهل السنة فلا يوافق على خطأه

ومنهم من هو منتسب إلى أهل الكلام كالمذهب الأشعري وغيره فلا يوافق على كل ما يقول ولكن الشيخ يرى قاعدة وهي أن الحق يقبل من كل من تكلم به وعليه فما نقله عن هؤلاء حجة لأنه حق فالمتكلم ولو كان على مذهب أهل الكلام إذا قال في أحد كتبه كلاماً حقاً يوافق مذهب السلف فإنه يقبل وهو حجة وقول معاذ □ كما رواه أبو داود في سننه قوله " اقبلوا الحق" هذا من الآثار العظيمة من كل مَنْ جاء به؛ وإن كان كافرًا ــ أو قال فاجرًا ــ واحذروا زيغة الحكيم.فنبه إلى شيئين مهمين الشيء الأول أن الحق يقبل من كل من جاء به ولو كان كافراً الشيء الثاني أن يحذر من زيغة الحكيم فإن الإنسان قد يكون على الحق وعلى الخير والهدى لكن قد يزيغ فليحذر كل الحذر من متابعته على ذلته، نعم يا شيخ.

الطالب: فأما تقرير ذلك بالدليل، وإماطة ما يعرض من الشبه، وتحقيق الأمر على وجه يخلص إلى القلب ما يبرد به من اليقين ويقف على مواقف آراء العباد في هذه المهامِهِ، فما تتسع له هذه الفتوى، وقد كتبت شيئًا من ذلك قبل هذا، وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا، وربما أكتب ــ إن شاء الله ــ في ذلك ما يحصل المقصود به.

الشيخ: نعم، شيخ الإسلام في هذه الرسالة لم يفصل المسائل وإنما فصلها في كتب أخرى كما في رسائله في إجماع الفتاوى وفي بعض المواضع وفي العقل والنقل ومنهاج السنة وغيرها وكما فصله فيما يظهر وإن كان لم يصل إلينا في جواب الاعتراضات المصرية على الفتوة الحموية، نعم يا شيخ.

الطالب: وجماع الأمر في ذلك: أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحق، وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته. ولا يحسب [الحاسب أن شيئًا من ذلك] يناقض بعضه بعضًا البتة، مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} [الحديد:4] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قِبَل وجهه» ونحو ذلك، فإن هذا غلط. وذلك أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة كما جمع بينهما في قوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد:4] . فأخبر أنه فوق

العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأوعال: «والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه» . وذلك أن كلمة «مع» في اللغة إذا أطلقت، فليس في ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين وشمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا، أو النجم معنا. ويقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك، وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة. ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال: {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} [الحديد: 4] دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم، شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم. وهذا معنى قول السلف: «إنه معهم بعلمه» ، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته. وكذلك في قوله {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} إلى قوله: {هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} [المجادلة:7] ، ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه في الغار: {لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا} [التوبة:40] كان هذا أيضًا حقًا على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم المعية هنا ـ مع الاطلاع ـ والنصر والتأييد. وكذلك قوله: {إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} [النحل:128] ، وكذلك قوله لموسى وهارون: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه:46] . هنا المعية على ظاهرها، وحكمها في هذا الموطن النصر والتأييد. وقد يدخل على صبي من يخيفه، فيبكي، فيشرف عليه أبوه من فوق السقف ويقول: لا تخف، أنا معك، أو أنا حاضر ونحو ذلك، ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه، ففَرْقٌ بين معنى المعية وبين مقتضاها، وربما صار مقتضاها من معناها، فيختلف باختلاف المواضع. فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أمورًا لا يقتضيها في الموضع الآخر، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها ـــ وإن امتاز كل موضع بخاصية ــ فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق حتى يقال: قد صرفت عن ظاهرها.

الشيخ: نعم، أحسنت مختلطةً شيخ الإسلام هنا في آخر هذه الفتوة أراد أن يجيب عن بعض الإشكالات في مسألة علو الله واستواءه على عرشه بدأ يناقش المسألة الأولى وهي مسألة المعية **((مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ))**، **((هُوَ**

مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا)) وأجاب رحمه الله تعالى هذا الجواب الضافي الواضح أن لفظ مع لا يقتضي المخالطة وأن مع لها عدة استعمالات في اللغة العربية منها ما يقتضي المخالطة ومنها ما لا يقتضي وذكر أمثلة على ذلك الأب الذي يطل على ابنه من فوق السطح يقول أنا معك لا تخف والقائل يقول ما زلنا نسير والقمر معنا هذا نوع من المعية والذي يحمل متاعه على رأسه يقول متاعي معي وإن كان فوق رأسه وأيضاً المعية المعنوية مثل أن تقول هل معك زوجتك فيقول نعم معي زوجتي وهو يقصد أنه لم يفارقها بينما هو في مكان والمرأة في مكان وقائد الجيش يقول للجند أنا معكم والجند في مكان وهو في مكان فإذا عرف هذا استخداماتها في كتاب الله يجب أن تكون على مقتضى المعنى الصحيح الذي تجمع فيه النصوص وعليه فالله فوق العرش حقيقة وهو مع الخلق حقيقة ولا يقتضي قولنا إنه مع الخلق حقيقة أنه معهم بذاته بل المعية قسمان كما أشار الشيخ معية عامة تشمل الكافر والمؤمن والمطيع والعاصي ومعية خاصة الأولى مقتضاها العلم والإحاطة والقدرة والثانية مقتضاها النصر والتأييد مع المؤمنين مع المتقين لا تحزن **((لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا))**[التوبة:40]^ **((إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى))**، نعم يا شيخ.

طالب: ....؟

الشيخ: لا، لا معية عامة ومعية خاصة، نعم.

طالب: ....؟

الشيخ: لا يقال معهم بذاته والشيخ تراجع عن ذلك، نعم.

الطالب: ونظيرها من بعض الوجوه الربوبية والعبودية، فإنها وإن اشتركت في أصل الربوبية والتعبيد، فلما قال: {بِرَبِّ الْعَالَمِينَ • رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ} [الأعراف:121ـ122] كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق، فإن من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره: فقد ربه ورباه، وربوبيته وتربيته أكمل من غيره. وكذلك قوله: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا} [الإنسان:6] و {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً} [الإسراء:1] . فإن العبد تارة يعنى به المعبد فيعم الخلق كما في قوله: {إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} [مريم:93] ، وتارة يعنى به العابد فيخص، ثم يختلفون، فمن كان أعبد علمًا وحالاً، كانت عبوديته أكمل، فكانت الإضافة في حقه أكمل، مع أنها حقيقة في جميع المواضع.

الشيخ: نعم، حقيقة في جميع المواضع وهذا تمثيل صحيح يعني بين المعية العامة والخاصة وبين الربوبية العامة والخاصة والعبودية العامة والخاصة شبه في الربوبية، فيه ربوبية عامة وربوبية خاصة ربوبية عامة لجميع الخلق الله خلقهم ويحييهم ويرزقهم، ربوبية خاصة يشرف الله بها بعض عباده **((رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ))** يعني موسى وهارون نبيان رباهما ربهما فهذه تربية خاصة وكذا العبودية كل العباد عبيد لكن المؤمن أيضاً هو عبد الله والمتقون هم عباد الله وهذه العبودية خاصة مقتضاها التأله والمحبة والطاعة لله ، نعم.

الطالب: ومثل هذه الألفاظ يسميها بعض الناس «مشككة» لتشكيك المستمع فيها، هل هي من قبل الأسماء المتواطئة، أو من قبل المشتركة في اللفظ فقط، والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة؛ إذ واضع اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك، وإن كانت نوعًا مختصًا من المتواطئة، فلا بأس بتخصيصها بلفظ.

الشيخ: يقول لك هنا التشكيك بلفظ مثل أن يقال مشككة لأن المشكك جزء من المتواطئ والمتواطئ هو المعنى الكلي الذي يصدق على كثيرين المعنى الكلي الذي يصدق على كثيرين لكن كل له حقيقته الخاصة والمشكك هو نوع من المتواطئ هو يصدق على كثيرين لكن في بعضهم أقوى مثل لما نقول النور فالنور لفظ متواطئ **(قطع)** أوتوا ذكاء لكن ما أو أوتوا ذكاء، أوتوا ذكاءً في العقول وما أوتوا ذكاء في القلوب والنفوس نفوس ليست مزكاة بالإيمان العمل الصالح أعطوا فهوماً لكن ما أعطوا علوما حقيقة أطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة لكن ما أغنت عنهم سمعهم ولا أبصارهم **((لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون))**[الأحقاف:26]^ فالنون بين هذا وهذا بين تأديب هؤلاء وبين الرحمة بهم لما استولى عليهم ونعوذ بالله من الضلالات، نعم.

الطالب: ومن كان عليمًا بهذه الأمور: تَبَيَّنَ له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم، حيث حذروا [عن الكلام ونهوا عنه، وذمُّوا] أهله وعابوهم، وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزدد إلا بعدًا.

الشيخ: أي والله هذه هي النتيجة عرف صحة منهج مذهب السلف المبني على الكتاب والسنة نور وضيع في مذهبهم وعلم

أن من ابتغى الهدى بغير الكتاب والسنة لم يزدد من الله إلا بعدا ما في طريق يوصلك إلى الله غير طريق الأنبياء غير طريق الكتاب والسنة، نعم.

الطالب: فنسأل الله العظيم أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين،

الشيخ: آمين، ونحن نقول أيضاً آمين والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات لكن أن نختم نذكر بعض الأسئلة السريعة.

هذا واحد يسأل عن إقامة الموالد وغيرها فهل يجوز حضور هذه الموالد؟

نقول لا يجوز حضور هذه الموالد ولا التعاون معهم لأن هذا التعاون على البدعة ويجب على كل مسلم في أي مكان في هذه الأرض أن يحذر من مثل هذه البدع بدع الصوفية وبدع الموالد.

في كل ندوة عن الصوفية يزعمون أنهم يوالون أهل الصفة وخاصة أبو هريرة؟

قد بيّنا في الدرس أن هذا كذب نسبة أهل الصفة، نسبة المتصوفة مذهبهم إلى أهل الصفة كذب لم يثبت في ذلك شيء وإنما أهل الصفة هم مجموعة من الصحابة الفقراء وبعضهم إذا استغنى خرج من الصفة فكان هذا بيت الفقراء ولهذا الصحيح أنهم لم يكونوا متفقرين متزهدين طول الوقت وإنما كانت صفة يأتيها الفقراء فإذا الواحد منهم لقي عملاً أو شغلاً أو مالاً أو تزوج انتقل من هذه الصفة أما من يزعم أن الصحابة من اختار المقام في هذه الصفة على طريقة المتصوفة فهذا كذب عليهم وأهل الصفة صحابة والمتصوفة أهل بدعة فأنّا يكونوا أهل البدع صحابة.

هل المنتحر نقول عجل بنفسه؟

نعم، الذي ينتحر ويقتل نفسه ورد عن الرسول أنه قال أنه عجل بنفسه إلى النار لكن أن يخلد أو لا يخلد أكثر العلماء رحمهم الله كانوا يقولون يعاقب ويكون في النار لكن لا يخلد والوعيد شديد جاء عن رسول الله هذا الذي ينتحر أما العمليات الاستشهادية فهذا مبحثها في مقام آخر لها وضعها ولها شروطها.

كيف نجمع بين قولين قول الرسول **(كلتا يديه يمين)** وبين قوله **(ثم يطوي الأراضين بشماله)**؟

قوله **(ثم يطوي الأراضين)** هذه رواية مسلم في صحيحه فإذا كانت من الناحية الحديثية ثابتة فلا بأس أن نقول بيمينه وشماله وكلتا يديه يمين أما إن قيل أن هذه اللفظة لم تثبت من خلال الاستقراء لطرق الحديث ورواياته فننظر إليها من هذا الباب.

هل قرب الله قسمان قرب عام وقرب خاص؟
لا، ليس هناك قـرب عـام وإنما الله على العـرش اسـتوى وإنما هنـاك قـرب خـاص من بعض عبـاده أما العـام فهو المعية العامة **((مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ))**
ونختم بهذا السؤال هل نأخذ التدمرية بعد الحموية؟
لا أظن أن الوقت يسمح بذلك ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم العلم النـافع والعمل الصـالح وأن يغفر لشـيخ الإسـلام ابن تيمية ولأئمة السلف قديماً وحديثاً كما نسأله سـبحانه وتعـالى أن يسـلكنا في سلكه وأن يعيننا من البـدع ما ظهر منها وما بطن والحمد للهـرب العـالمين وصـلى الله وسـلم على نبينا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين